تراثنا

نشرة فصلية تصدرها
مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث

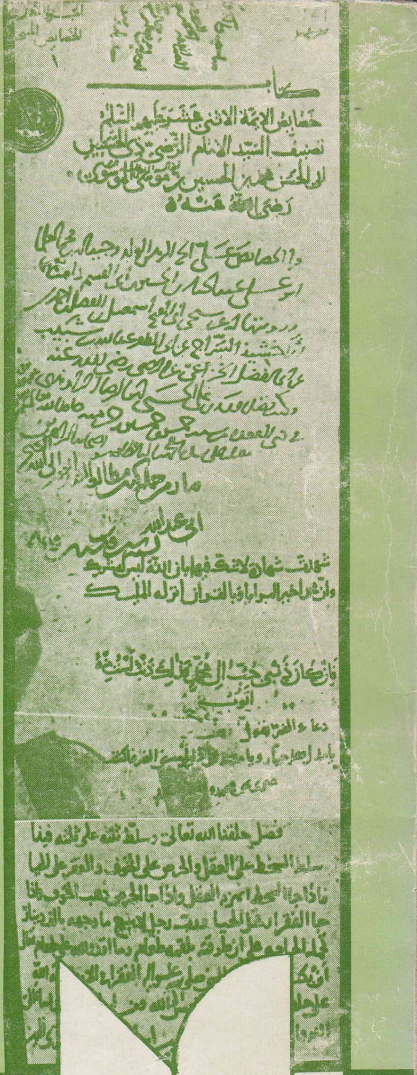

عدد خاص

بمناسبة الذكرى الألفية لوفاة الشريف الرضي

العدد الخامس - السنة الأولى - ١٤٠٦ هـ

تراثنا

نشرة فصلية تصدرها مؤسسة آل البيت ـ عليهم السّلام ـ لإحياء التراث

■ الإسهام في النشرة باب مفتوح لجميع العلماء والمحقّقين والمهتمّين بشؤون تراث أهل البيت عليهم السلام.

■ الآراء المنشورة لا تعبّر عن رأي النشرة بالضرورة.

■ ترتيب المواضيع يخضع لاعتبارات فنّية، وليس لأيّ اعتبار آخر.

■ النشرة غير ملزمة بنشر كلّ ما يصل إليها.

المراسلات:

تعنون باسم: **هيئة التحرير**

صفائية ـ ممتاز ـ پلاك ٧٣٧ ـ ت: ٢٣٤٥٦

ص . ب ٤٥٤ ـ قم ـ الجمهورية الإسلامية في إيران

إسم النشرة: تراثنا

العدد الخامس ـ السنة الأُولى ـ ١٤٠٦هـ . ق.

عدد خاصّ بمناسبة مرور ألف عام على وفاة الشريف الرضيّ (٣٥٩ ـ ٤٠٦هـ).

الإعداد والنشر: مؤسسة آل البيت ـ عليهم السّلام ـ لإحياء التراث.

العدد: ١٠٠٠ نسخة

صورة الغلاف: الورقة الأُولى من مخطوطة كتاب «خصائص الائمّة» للشريف الرضيّ، كتبت سنة ٥٥٥هـ.

الرضيّ و المرتضى كوكبان

الشيخ جعفر السبحاني

إن الرضيّ و المرتضى من دوح السيادة ثمرتان، و في فلك العلم قمران، وأدب الرضيّ إذا قرن بعلم المرتضى، كان كالفرند في متن الصارم المنتضى(١).

و قد وصف أبو العلاء المعرّي الشريفين في قصيدة يرثي بها والدهما بقوله:

أبقيتَ فينا كوكبين سناهُما ... في الصبح والظلماء ليس بخافِ

الى أن قال:

ساوى الرضيُّ المرتضى و تَقاسَما ... خُطط العُلى بتناصفٍ وتصافِ(٢)

و روى أهل السير والتواريخ ان المفيد، أبا عبدالله محمّد بن النعمان نابغة العراق، ومفخرة الآفاق، رأى في منامه ان فاطمة بنت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) دخلت عليه وهو في مسجده في الكرخ، ومعها ولداها: الحسن والحسين -عليهما السّلام- صغيرين، فسلّمتهما اليه، وقالت له: علمهما الفقه، فانتبه متعجبا من ذلك، فلمّا تعالى النهار في صبيحة تلك الليلة التي رأى فيها الرؤيا، دخلت إليه في المسجد فاطمة بنت الناصر، وحولها جوارها وبين يديها ابناها: محمّد الرضيّ، وعليّ المرتضى صغيرين، فقام اليها وسلم عليها، فقالت له: ايها الشيخ هذان ولداي قد أحضرتهما لتعلّمهما الفقه، فبكى أبوعبدالله، وقصّ عليها المنام، وتولّى تعليمهما الفقه، وأنعم الله عليهما، وفتح لهما من

(١) دمية القصر: ٧٥.

(٢) ديوان السقط، لشاعر المعرة، طبعة القاهرة.

أبواب العلوم والفضائل ما اشتهر عنها في آفاق الدنيا، وهو باق ما بقي الدهرُ(٣).

هكذا بدأ العلمان حياتهما الفكريّة والعلميّة، ونشئا وترعرعا في مدرسة أُستاذ واحد، غير ان كل واحد انطلق حسب ذوقه ومواهبه الطبيعية، وفي مجاله الخاص، فركّز الرضي اهتمامه على العلوم الادبية والشعر والحديث والتفسير، وهو يتولّى نقابة الطالبيّين، الى غير ذلك من مهامّ الامور.

بينما صبّ المرتضى جهوده على الفقه والكلام ثم التفسير، ونبغ كل واحد منها في مجال خاص، مع اشتراكهما في سائر المجالات العلميّة والفكريّة.

و لأجل ذلك نجد ان الرضي يراجع أخاه المرتضى في المسائل الفقهية ويطلب منه حلها.

قال الشهيد الاول في (الذكرى)، والشهيد الثاني في (الروض) في مسألة الجاهل بالقصر في السفر ـ حيث ان الإمامية تذهب إلى صحّة صلاة الجاهل بالحكم إذا أتمّ مكان القصر ـ سأل الرضيّ أخاه المرتضى وقال: إن الإجماع واقع على أن من صلّى صلاة لا يعلم أحكامها فهي غير مجزية، والجهل باعداد الركعات جهل بأحكامها فلا تكون مجزية، (فكيفَ تكون صلاة الجاهل بوجوب القصر إذا أتمّ صحيحة) فأجابه المرتضى بجواز تغيّر الحكم الشرعي بسبب الجهل، وإن كان الجاهل غير معذور(٤)

ما ينبىء عن أن المرتضى يرجع إلى أخيه الرضيّ في الفنون التي برع فيها أخوه، روى السيد نعمة الله الجزائري قال: دخل أبوالحسن، على السيد المرتضى ـ طاب ثراه ـ يوماً، وكان المرتضى قد نظم أبياتاً من الشعر، فوقف به بحر الشعر فقال: يا أباالحسن خذْ هذه الأبيات الى أخي الرضي قل له يُتمّمها وهي هذه:

سرى طيفُ سلمى طارقاً فاستفزّني ... سميراً وصحبي في الفلاة رقودُ

فلمّا انتبهنا للخيال الذي سرى ... إذ الأرض قفرٌ والمزار بعيدُ

فقلت لعيني عاودي النوم واهجعي ... لعلّ خيالاً طارقاً سيعودُ

قال أبوالحسن: فاخذتُ الأبيات، ومضيت إلى السيد الرضي، فلمّا رآها قال: عليّ بالمحبرة فكتب:

---

(٣) الشرح الحديدي ج١: ٤١ ورياض العلماء ٤: ٢٣، والروضات ٤: ٢٩٥.

(٤) بحر الفوائد، للعلامة الشيخ محمد حسن الإشتياني ص: ٤٥ وغيرها.

فـردتُ جـوابـاً والـدمـوع بـوادرُ و قـد آن للشـمـل المشـتـت ورودُ
فهيهات عن ذكرى حبيب تعرّضت لـنـا دون لقـيـاه مـهـامـه بـيـدُ

فأتيت بها إلى المرتضى فلمّا قرأها ضرب بعمامته الأرض، وقال: يعزّ علي أخي، يقتله الفهم بعد أُسبوع، فما دار الأُسبوع إلاّ وقد مضى الرضيّ الى رحمة الله سبحانه(٥).

و ممّا يكشف عن شدة التلاحم و الإرتباط والودّ بين هٰذين الأخوين العَلَمين، انه لمّا تُوفي السيد الرضي وحضر الوزير فخر الملك وجميع الأعيان والأشراف والقضاة جنازته والصلاة عليه، مضى أخوه المرتضى من جزعه عليه الى مشهد موسى بن جعفر ـعليه السّلام ـ لأنه لم يستطع أن ينظر إلى تابوته ودفنه، وصلّى عليه فخر المُلك أبو غالب، ومضى بنفسه آخر النهار إلى اخيه المرتضى بالمشهد الشريف الكاظمي فألزمه بالعود الى داره.

نرى ان المرتضى يصبّ عواطفه الرفيعة وحنانه في الأبيات التالية:

يـا لـلـرجال لـفـجـعة جـذمـت يدي و وددت لـوذهـبَـت عـلـيَّ بـراسـي
مـا زلت آبى وردَهـا حتى أتـت فَـحسوتُـها في بعض مـا أنـا حاسي
ومطـلتها زمـنـاً فـلـمّـا صـمّـمت لم يـثـنـهـا مَطلي وطـول مِـكـاسـي
لله عـمـرك مـن قصير طـاهـر ولربّ عـمـر طـال بـالأدنـاس(٦)

هذا بعض ما حفظ التاريخ من تفاني كل من الأخوين بالنسبة إلى الآخر.

غير أن هناك شرذمة من أهل السير والتراجم لم يتحمّلوا ما وجدوه بين هذين الاخوين من العطف والمودة، والأدب والأخلاق والفضائل والمناقب، فعادوا ينسبون إليهما ما لا تصحّ نسبته إلى من هو أدون منهما بدرجات، وإليك بعض هذه التهم التي تكذبها سيرة العلمين وحياتهما المشرقة.

١ ـ المرتضى خائض فى دماء

يُحكى أنه اقتدى الرضيّ يوماً بأخيه المرتضى في بعض صلاته، فلمّا فرغ قال: لا

---

(٥) رياض العلماء ٤:٦٤، الروضات ٦:١٩٩.

(٦) الشرح الحديدي ١:٤١، راجع ديوانه ٢:١٤٢.

أقتدي بك أبداً، قال: وكيف ذلك؟، قال: لأني وجدتك حائضاً في صلاتك، خائضاً في دماء النساء، فصدقه المرتضى وأنصف والتفت الى أنه أرسل ذهنه في أثناء تلك الصلاة الى التفكر في مسألة من مسائل الحيض.

و ربّما يُحكى أن الرضيّ بمجرد أن انكشف له الحالة المزبورة إنصرف من صلاته وأخذ في الويل والعويل، وأظهر الفزع الطويل في تمام السبيل الى أن بلغ المنزل بهذة الحالة، فلمّا فرغ المرتضى أتى المنزل من فوره وشكا ما صنعه به الى أُمه، فعاتبته على ذلك فاعتذر عندها بما ذكر، وأنه كان يتفكّر إذ ذاك في مسألة من الحيض، سألتها عنه بعض النسوة في اثناء مجيئه الى الصلاة(٧).

تساؤلات حول القصة

و هذه القصة تحيط بها إبهامات عديدة وتساؤلات عويصة نشير اليها:

أولاً: هل الفكرة الشرعيّة الصحيحة إذا راودت ذهن الإنسان في اوقات الصلاة أو غيرها توجب تمثل الإنسان بنفس تلك الفكرة عند أرباب البصائر وذوي العيون البرزخية، الذين يستطيعون مشاهدة ماوراء الحجب والستور ببصائرهم؟

فلو غاص الإنسان في أحكام السرقة أُوحدّ الزنا والقذف، فهل يوجب ذلك أن يتمثل المفكّر فيها عند من يعاين الأشياء بأبصار حديدة، سارقاً وزانياً وقاذفاً!؟ لا أظنّ أن يتفوّه بهذا أيّ حكيم نابه أو عارف بصير، بل لازم تلك البصيرة أن يُعاين صاحبها الاشياء على ماهي عليه فيرى مثلاً الرضيّ صاحب تلك البصيرة أخاه الفقيه على الحالة التي هو عليها، أي متفكّراً ومتعمقاً في مسألة فقهية منشغلاً بها لا خائضا في الدماء.

ثانياً: إن القصة تكذب نفسها، فإن لازم رجوع النساء الى المرتضى في المسائل المختصة بالنساء، هو كون المسؤول من ذوي الشخصيات الضاربة في الأربعين عاماً أو

---

(٧) روضات الجنات ٦:٢٠٢ ـ ٢٠٣، نقلا عن صاحب حدائق المقربين.

ما يقاربها، و لازم إرجاع الشكاية الى الأُم كون المصلّي والمتقدي في سنيّ الصبا، ومن المعلوم ان الأخوين كانا متقاربي السن، ولا يكبر المرتضى أخاه الرضي إلاّ بأربعة أعوام.

ثالثاً : إن القصة ـ على بعض الروايات ـ تُصرّح بانصراف الرضيّ عن الصلاة بقطعها وإبطالها به، وهو أمر محرّم، ولا يسوغ لمثل الرضيّ ارتكابه.

٢ ـ المرتضى شحيح و الرضيّ سخيّ!

إن هذه التهمة ليست التهمة الوحيدة التي الصقت بالشريف المرتضى، بل نسجت الألسنة الحاقدة فرية أُخرى أرادوا بها الإنتقاص من ذينك العلمين الجليلين، وإليك واحدة أُخرى من هذه التهم:

قال صاحب كتاب «عمدة الطالب في أنساب ال أبي طالب»: ان المرتضى كان يبخل، ولما مات خلّف مالاً كثيراً وخزانة اشتملت على ثمانين ألف مجلد، ولم أسمع مثل ذلك، وقد أناف القاضي عبدالرحمن الشيباني على جميع من جمع كتباً، فاشتملت خزانته على مائة ألف وأربعين ألفاً، وكان المستنصر أودع خزانته في المستنصرية ثمانين ألفاً أيضاً(٨).

ثم ان القصّاصين لم يكتفوا بهذه التهمة، وذكروا لها شاهداً، ونقلوا عن أبي حامد أحمد بن محمد الإسفرائيني الفقيه الشافعي قال: كنتُ يوماً عند فخر الملك أبي غالب محمد بن خلف وزير بهاء الدولة وابنه سلطان الدولة، فدخل عليه الرضيّ أبوالحسن، وأجلسه ورفع من منزلته وخلّى ما بيده من الرقاع والقصص، وأقبل عليه يُحادثه الى أن انصرف، ثم دخل عليه المرتضى أبوالقاسم ـ رحمه الله ـ فلم يعظّمه ذلك التعظيم، ولا أكرمه ذلك الإكرام، وتشاغل عنه برقاع يقرؤها، وتوقيعات يوقّع بها، فجلس قليلاً وسأله أمراً فقضاه ثم انصرف.

قال أبوحامد: فتقدمت إليه وقلت له: أصلح الله الوزير، هذا المرتضى هو الفقيه

---

(٨) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ٢٣٥، ولا حظ أيضاً الرياض ٤: ٢١

المتكلّم صاحب الفنون، وهو الأمثل والأفضل منهما، وإنما أبوالحسن شاعر، قال: فقال لي: إذا انصرف الناس، وخلا المجلس أجبتك عن هذه المسألة.

قال: وكنتُ مجمعاً على الإنصراف، فجاءني أمر لم يكن في الحساب، فدعت الضرورة إلى ملازمة المجلس الى أن تقوّض الناس واحداً فواحداً، فلمّا لم يبق إلاّ غلمانه وحُجّابه، دعا بالطعام، فلمّا أكلنا وغسل يديه وانصرف عنه أكثر غلمانه، ولم يبق عنده غيري قال لخادم: هات الكتابين اللذين دفعتهما إليك منذ أيام، وأمرتك أن تجعلهما في السفَط الفلاني، فأحضرهما فقال: هذا كتاب الرضيّ، إتصل بي انه قدوُلِدَ له ولد، فأنفذت إليه ألف دينار، وقلت له: هذه للقابلة، فقد جرت العادة أن يحمل الأصدقاء الى أخلاّئهم وذوي مودّتهم مثل هذا في مثل هذه الحال، فردّها وكتب اليَّ هذا الكَتاب، فاقرأه، قال: فقرأته وهو اعتذار عن الرد، وفي جملته: إنّنا أهل بيت لا يطّلع على أحوالنا قابلةغريبة، وإنما عجائزنا يتولينّ هذاالأمر من نسائنا، ولسنَ ممن يأخذ أُجرة، ولا يقبلن صلة، قال: فهذا هذا.

و امّا المرتضى فإننا كنّا قدوزّعنا وقَسّطنا على الأملاك ببادوريا تقسيطاً نصرفه في حفرفوّهة النهر المعروف بنهر عيسى، فأصاب ملكاً للشريف المرتضى بالناحية المعروفة بالداهرية من التقسيط عشرون درهماً، ثمنها دينار واحد، قد كتب اليَّ منذ أيام في هذا المعنى هذا الكتاب فاقرأه، فقرأته وهو اكثر من مائة سطر، يتضمن من الخضوع والخشوع والإستمالة والهزّ والطلب والسؤال في إسقاط هذه الدراهم المذكورة عن املاكه المُشار إليها ما يطول شرحه.

قال فخر الملك: فأيُّهما ترى أولى بالتعظيم والتبجيل؟ هذا العالم المتكلم الفقيه الأوحد، ونفسه هذه النفس أم ذلك الذي لم يشهر إلاّ بالشعر خاصة، ونفسه تلك النفس، فقلت: وفّق الله تعالى سيّدنا الوزير فما زال موفقاً، والله ما وضع سيّدنا الوزير الأمرإلاّ في موضعه، ولا أحلّه إلاّ في محله، وقمت فانصرفت(٩).

قرائن تكذب هذه القصة

إن هناك قرائن و شواهد قوية على انّ القصة حديث كاذب وتهمة مختلقة، واليك

(٩) الشرح الحديدي ١:ص٣٩- ٤٠، و روضات الجنات ٦:١٩٥.

تلك القرائن المفيدة للعلم بخلاف هذه الحكاية:

١ ـ إن السيّد المرتضى ـ وهو ذلك الرجل الصدوق ـ ينصّ بنفسه على انه لم يكن يرى لثروته الطائلة قيمة تجاه مكارمه وكراماته وكان يقول:

وما حزني الإملاق والثروة التي ... يذلّ بها أهل اليسار ضلال
أليس يبقى المال إلاّ ضنانة ... وأفقر أقواماً ندى ونوال
إذا لم أنل بالمال حاجة معسر ... حصور عن الشكوى فمالِيَ مال(١٠)

أفترى ان صاحب هذه النفسية القوية يكتب لإعفاء عشرين درهماً، مائة سطر تتضمن الخضوع والخشوع!؟

٢ ـ إنّ الشريف المرتضى تقلّد بعد أخيه الرضي نقابة الشرفاء شرقاً وغرباً، وإمارة الحاج والحرمين، والنظر في المظالم، وقضاء القضاة ثلاثين سنة، وذلك من عام ٤٠٦ (وهو العام الذي توفي فيه أخوه الرضي) الى عام ٤٣٦ الذي توفي فيه الشريف المرتضى نفسه.

أفهل يمكن أن يقوم بأعباء مثل هذه المسؤولية الإجتماعية من يبخل بدينار واحد يصرفه فخر الملك في حفر نهر، تعود فائدته الى الجميع، ويكتب في إسقاطه اكثر من مائة سطر.

هذا والحجيج بين شاكر لكلاءته، وذاكر لمقدرته، ومُطْر لاخلاقه، ومتبرك بفضائله، ومثن على أياديه، وهذا يفيد أنّ الشريف المرتضى كان كأخيه الرضي سخيّاً معطياً ولم يكن يرى للمال قيمة.

٣ ـ إنّ ابن خلّكان بعدما عرّفه بقوله: كان إماماً في علم الكلام والأدب والشعر، أتى بقصّة حكاها الخطيب التبريزي، وهي بنفسها أقوى شاهد على أنّ السيد كان ذاسماحة كبيرة.

قال الخطيب: إنّ أباالحسن علي بن احمد علي بن سلك الفالي الأديب كان له نسخة لكتاب الجمهرة لابن دريد في غاية الجودة، فدعته الحاجة إلى بيعها فباعها، فاشتراها الشريف المرتضى بستين ديناراً، فتصفّحها فوجد فيها أبياتاً بخط بائعها، والأبيات قوله:

أنِسْتُ بها عشرين حولاً و بعتها ... فقد طال وجدي بعدها وحنيني

(١٠) الغدير ٤: ٢٧٥.

وما كان ظنّي أنني سأبيعها ... ولو خلّدتني في السجون ديوني
ولكنْ لضعف وافتقار وصبية ... صغار، عليهم تستهل شؤوني
فقلت ولم أملك سوابق عبرتي ... مقالة مكويّ الفؤاد حزين
وقد تخرج الحاجات يا أمّ مالك ... كرائم من ربٍّ بهنَّ ضنين

و قال الخطيب: فأرجع السيّد النسخة إليه، وترك له الدنانير(١١).

أفهل في وسع البخيل الشحيح المقدّم على التنقيص من كرامته لأجل إسقاط دينار ضرب عليه لحضرته، أن تسخو نفسه وتجود بمثل هذه الدنانير!؟

٤ ـ روى أصحاب التراجم؛ إنّ السيد المرتضى كان يجري الرزق على جميع تلامذته، حتى انه قرر للشيخ الطوسي كل شهر ـ أيام قراءته عليه ـ إثني عشر ديناراً، وعلى ابن البراج كل شهر ثمانية دنانير، ليتفرّغوا بكل جهدهم الى الدراسة، من غير تفكّر في أزمات المعيشة(١٢).

أفي وسع القارىء أن يتهم من يدرّ من ماله الطاهر، أو مما يصل إليه من الناسَ من الحقوق الشرعية، على تلامذته الكثيرين البالغ عددهم المئات، هذه الرواتب الكبيرة، أن يشحّ ويبخل بدينار، ويكتب في إسقاطه مائة سطر؟!

٥ ـ إنّ الشريف الرضي كان قد وقف قرية على كاغد الفقهاء، حتى لا يواجه الفقهاء أية أزمات في لوازم الكتابة والتحرير.

٦ ـ و قد روي ان السيد المرتضى كان يملك قرى كثيرة واقعة بين بغداد وكربلاء، وكانت معمورة في الغاية، وقد نُقل في وصف عمارتها؛ إنه كان بين بغداد وكربلاء نهر كبير، وعلى حافتي النهر كانت القرى الى الفرات، وكان يعمل في ذلك السفائن، فإذا كان في موسم الثمار كانت السفائن المارّة في ذلك النهر تمتلىء مما سقط من تلك الأشجار الواقعة على حافتي النهر، وكان الناس يأكلون منها من دون مانع(١٣).

٧ ـ قد نقل أصحاب السير ان الناس أصابهم في بعض السنين قحط شديد، فاحتال رجل يهودي على تحصيل قوته، فحضر يوماً مجلس الشريف المرتضى، وسأله أن يأذن له

---

(١١) وفيات الأعيان ٣:٣١٦. ط بيروت، دارالثقافة.

(١٢) الرياض ٤:٣٠.

(١٣) الرياض ٤:٣٠.

في أن يقرأ عليه شيئاً من علم النجوم، وأمر له بجراية تجري عليه كل يوم، فقرأ عليه برهة ثم أسلم على يديه(١٤).

٨ ـ إن ياقوت الحموي نصّ في معجم الادباء (٣:١٥٤) على ان المرتضى كان يدخل عليه من أملاكه كل سنة أربعة وعشرون ألف دينار.

٩ ـ إنّ الشريف المرتضى هو أول من جعل داره دارالعلم، وقدرهاللمناظرة ويقال: انه أُمّر ولم يبلغ العشرين، وكان قد حصل على رئاسة الدنيا بالعلم والعمل الكثير، والموظبة على تلاوة القرآن وقيام الليل، وإفادة العلم، وكان لا يؤثر على العلم شيئا مع البلاغة وفصاحة اللهجة.

و حُكي عن الشيخ أبي إسحاق الشيرازي انه قال: كان الشريف المرتضى ثابت الجأش، ينطق بلسان المعرفة ويردد الكلمة المسددة، فتمرق مروق السهم من الرمية ما اصاب أصمى وما أخطأ أشوى(١٥).

و القارىء الكريم إذا لا حظ ما ذكرناه في هذه البنود الخمسة الاخيرة، يقف على تفاهة ما نُسِبَ الى هذا العَلَم من تلك القصة المنحوتة المختَلَقة.

١٠ ـ ان القصة تتضمن ان فخر الملك لم يعظم المرتضى بما يليق بشأنه، وتشاغل عنه برقاع يقرؤها، وتوقيعات يوقّع بها، ولكن الفخر هذا قد عظّم المرتضى بأفضل ما يمكن يوم مات الشريف الرضي، حيث ان المرتضى لم يشهد جنازة اخيه، ولم يستطع أن ينظر الى تابوته، وذهب إلى مشهد موسى بن جعفر ـ عليه السّلام ـ، ومضى فخر الملك بنفسه آخر النهار الى المشهد الكاظمي، واستدعى من السيد العود الى داره ببغداد.

فبأيّ هذين الموقفين نؤمن؟

هذه القرائن والشواهد تشهد بوضوح على بطلان هذه القصة الخرافية، وتدلّ على ان ناسجها نسجها في غير موضعها.

١١ ـ قد اشتهر على ألسن العلماء انه لمّا اتفقت فقهاء العامّة على حصر المذاهب الفقهية الإسلامية التي تعددت وتشعّبت من زمان الصحابة والتابعين، ومن تبعهم الى عصر السيد المرتضى في مذاهب معينة، التقى السيد المرتضى بالخليفة، وتعهد له ان يأخذ

---

(١٤) الرياض ٤:٢٣، والروضات ٤:٢٩٦.

(١٥) لسان الميزان ٤:٢٢٣، نقلا عن تاريخ ابن أبي طيّ.

من الشيعة مائة الف دينار، حتى ترفع التقية والمؤاخذة على الإنتساب اليهم، فتقبل الخليفة، ثم انه بذل لذلك من عين ماله ثمانين ألفاً، وطلب من الشيعة بقية المال، ومن الأسف انهم لم يقدروا عليه(١٦).

و هذه القصة ـ سواء صحت أم لا ـ تكشف عن أن السيّد كان بمثابة من السخاء، بحيث أمكن نسبة هذه القصة اليه.

١٢ ـ هذا هو الدفاع الصحيح عن كرامة السيد الجليل، و دحض القصة بهذه القرائن المفيدة للعلم و بطلانها، والعجب ان صاحب الروضات ـ بعد ما نقل تلك القصة المختلقة ـ إنبرى للدفاع عن السيد بما نقله عن السيد الجزائري بقوله: كأن الوزير فخرالملك لم يحقق معنى علو الهمّة، فلذا عاب الأمر على الشريف المرتضى، وإنما كان عليه غضاضة لوكان سائلاً لها من أموال الوزير، وما فعله الشريف عند التحقيق من جملة علو الهمة، وذلك أنه دفع عن ملكه بدعة لو لم يتداركها بقيت على ملكه، وربّما وضعت من قدره عند أهل الأملاك وغيرهم، وكما أنه ورد في الحديث؛ المؤمن ينبغي له الحرص على حيازة أمواله الحلال كي ينفقه في سبيل الطاعات، كما كانت عادة جده أبي طالب بن عبدالمطلب، فانه كان يباشر جبرما انكسر من مواشيه وأنعامه، فإذا جاء الوافد إليه وهبها مع رعاتها له(١٧).

غير انه كان من الواجب على السيد الجزائري وصاحب الروضات أن يبطلا هذه القصة من أساسها للقرائن والشواهد التي ألمحنا الى بعضها، كما كان عليهماأن يتمسكا في المقام بما روي عن علي ـعليه السّلامـ من ان أفضل المال ما وقي به العرض، وقضيت به الحقوق(١٨).

---

(١٦) الروضات ٤:٣٠٧، ولا حظ الرياض ٤:٣٣ ـ ٣٤، وقال في الأخير: ٥٣ انه خلف بعد وفاته ثمانين ألف مجلد من مقرواته ومصنفاته ومحفوظاته، ومن الأموال والأملاك ما يتجاوزعن الوصف، الى آخر ما افاد...

(١٧) روضات الجنات ٦:٢٠٣ ـ ٢٠٤.

(١٨) بحار الانوار ٧٨: ٧.

الشريف الرضي

قد عرفت ما في كنانة القصّاصين من التهم الباطلة الموجهة الى الشريف المرتضى. فهلمّ الآن الى ما اختلقه الآخرون ممن يحملون الحقد والبغض لأبناء البيت العلوي حول الشريف الرضي وإن نقله أصحاب التراجم من غير دقة وتحقيق.

قالوا: كان الرضي ينسب إلى الإفراط في عقاب الجاني، وله في ذلك حكايات، منها؛ إنّ امرأة علويّة شكت إليه زوجها وإنه لا يقوم بمؤونتها، وشهد لها من حضر بالصدق في ما ذكرت، فاستحضره الشريف وأمر به فبُطِح وامر بضربه فضرب، والمرأة تنظر أن يكف، والآمر يزيد حتى جاوز ضربه مائة خشبة، فصاحت المرأة: «وايُتم أولادي» كيف يكون حالنا إذا مات هذا؟ فكلّمها الشريف بكلام فظ، وقال: ظننت أنك تشكينه الى المعلم؟(١٩).

لا شك انه كان من وظيفة الشريف الرضي نصح الزوج، ودعوته الى الرفق بالمرأة والقيام بلوازم حياتها، لا الأمر ببطحه وضربه ضرباً كاد يقضي على حياة الزوج.

و على فرض ان الشريف كان آيساً عن تأثير النصح في ذلك الرجل، كان يجب عليه القيام بما جاء به الشرع في مورد التعزيرات، إذ لا شك ان ذلك المورد ليس من موارد الحدود، بل من موارد التعزيرات، فإن الحدود ماجاء به الشرع بمقرر و حد خاص، وأسبابه كما في «الشرائع» على ما قرر في الفقه ستة: الزنا، وما يتبعه، والقذف، وشرب الخمر، والسرقة، وقطع الطريق.

و المورد ليس من تلك الموارد ففيه التعزير، وقد قرّر في محله أنّه يجب أن يكون التعزير أقل من الحد.

روى حمّاد بن عثمان، عن الصادق ـ عليه السّلام ـ قال، قلت له: كم التعزير؟ فقال: دون الحدّ، قال، قلت: دون ثمانين؟ قال: لا، ولكن دون أربعين فإنها حدّ المملوك ، قلت: وكم ذاك ؟ قال: على قدر ما يراه الوالي من ذنب الرجل وقوة

---

(١٩) الروضات ٦:١٩٦.

بدنه(٢٠).

و بما أن حدّ القاذف في الحُر هو ثمانون جلدة، فلو قلنا بأن حدّ المملوك فيه نصف ما على الحر، يصير الحد المقرر هو أربعون جلدة، قال تعالى: «فإن اتين بفاحشة فَعَليهن نصف ما على المُحصنات من العذاب»(٢١)، فيجب أن يكون التعزير على هذا دون الأربعين.

و في خبر القاسم بن سليمان: سُئل الصادق (ع).عن العبد إذا افترى على الحر، كم يُجلَد؟ قال: أربعين(٢٢).

ولو قلنا بأنه لا يشترط في الثمانين الحرية وإنّ حد القاذف في الحر والعبد سواء ـ كما هو المشهور ـ وإنّ الفاحشة (في الآية) التي تصرّح باختلاف حدّ الحر مع العبد ظاهرة في الزنا فقط، وحَدُّها ـ حسب تصريح الذكر الحكيم ـ هو مائة جلدة، يكون أقل الحد هو خمسون(٢٣).

و إن قلنا: إنّ قوله: «دون الحد» منصرف عن حدود العبد والامة، لأنّ الأحكام المتعلقة بهما في الإسلام، أحكام موقتة ثابتة ما دامت الرقية موجودة، فإذا ارتفع الموضوع ولم يوجد في أديم الأرض أية رقية، ترتفع أحكامها بارتفاع موضوعها، والناظر في التشريع الإسلامي يقف على أنّ الشارع اهتم بتحرير العبيد والإماء بطرق كثيرة كادت تقضي على حديث الرقية، وإنّ الحكومات القائمة باسم الإسلام ما قامت بوظيفتها في ذاك المجال.

فلو قلنا بذلك الإنصراف، وقلنا بإنّ ما ورد في حد القيادة من أنه يضرب ثلاثة أرباع الزاني خمسة وسبعين سوطاً(٢٤)، حد لا تعزير ولا توضيح لأحد مصاديقه يكون «أقل الحدّ» هو أربعة وسبعون سوطاً فما دونه، وعلى كل تقدير ليس في الفقه الإمامي تعزير يتجاوز عن المائة، وكان الرضي يعمل بالفقه الإمامي ويعتنقه،وليس ممّن يخفى

---

(٢٠) الوسائل ١٨: ٥٨٤ أبواب بقية الحدود، الباب ١٠، الحديث٣.

(٢١) النساء: ٢٥.

(٢٢) الوسائل ١٨: ٤٣٧، الباب ٤ من أبواب حدّالقذف، الحديث١٥.

(٢٣) سورة النور.

(٢٤) الوسائل ١٨، الباب ٥ من أبواب حدّ السحق والقيادة، الحديث١.

عليه ذاك الحكم الذي كان يمارسه طيلة نقابته للطالبيين. وعلى كل هذه التقادير، كيف أمر الشريف بجلد ذلك الرجل حتى جاوز مائة خشبة؟ مع انه ـ رحمه الله ـ ذلك الورع التقي، الذي اتفق الجميع على طهارته، ونزاهته وتقواه؟

و ما نرى ذلك إلاّ فرية أراد الجاعل الحطّ بها من مكانة السيد الشريف قدس الله روحه.

و قد روي عن أبي جعفر ـ عليه السّلام ـ إنّ أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ أمر قنبراً أن يضرب رجلاً حدّاً، فغلط قنبر، فزاده ثلاثة أسواط، فأقاده علي عليه السّلام من قنبر بثلاثة اسواط(٢٥).

إنّ الشريف الرضي هو الذي يعرّفه ابن الجوزي في المنتظم: كان الرضي نقيب الطالبيين ببغداد، حفظ القرآن في مدة يسيرة، بعد أن جاوز ثلاثين سنة، وعرف من الفقه والفرائض طرفاً قوياً، وكان عالماً فاضلاً وشاعراً مترسلاً وعفيفاً عالي الهمّة، متديناً إشترى في بعض الأيام جزازاً من امرأة، بخمسة دراهم فوجد جزءاً بخط أبي علي بن مقلة، فقال للدلال: إحضر المرأة فأحضرها، فقال: قد وجدت في الجزاز جزءاً بخطّ ابن مقلة، فإن أردت الجزء فخديه، وإن اخترت ثمنه فهذه خمسة دراهم، فأخذتها، ودعت له وانصرفت(٢٦).

فمن كان هذا مبلغ تقواه وورعه، لا يقدم على معاقبة الزوج أمام زوجته بتلك المعاقبة الخشنة الخارجة عن حدود الشرع.

هذا ابن أبي الحديد يعرّفه في كتابه بقوله: كان عفيفاً شريف النفس، عالي الهمّة ملتزماً بالدين، وقوانينه، ولم يقبل من أحد صلة ولا جائزة(٢٧).

و هذا الرفاعي يعرفه في صحاح الاخبار بقوله: كان أشعر قريش. وذلك لأنّ الشاعر المجيد من قريش ليس بمكثر، والمكثر ليس بمجيد، والرضي جمع بين فضلي الإكثار والإجادة، وكان صاحب ورع وعفة، وعدل في الأقضية، وهيبة في النفوس(٢٨).

---

(٢٥) الوسائل ١٨: ٣١١، أبواب مقدمات الحدود، الباب ٢، الحديث٣.

(٢٦) المنتظم ٧: ٢٧٩.

(٢٧) الشرح الحديدي ١: ٣٣.

(٢٨) صحاح الأخبار: ٦١.

فمن كان عفيفاً شريف النفس ملتزماً بالدين وقوانينه، وكان صاحب ورع وعفه، وعدل في الأقضيه، أترى يتجاوز عن حدود الشريعة ويرتكب مالا يرتكبه من له أدنى علم وورع؟ ما هكذا تورد يا سعد الإبل؟

لقد تولى الشريف نقابة الطالبيين، و إمارة الحجّ، والنظر في المظالم سنه ٣٨٠ وهو ابن واحد وعشرين سنة على عهد الطائع، وصدرت الأوامر بذلك من بهاء الدولة وهو بالبصرة عام ٣٩٧، ثم عهد اليه في ١٦ محرّم عام ٤٠٣ بولاية أُمور الطالبيين في جميع البلاد فدُعي نقيب النقباء، وتلك المرتبة لم يبلغها أحد من أهل البيت إلاّ الإمام علي بن موسى الرضا -سلام الله عليه- الذي كانت له ولاية عهد المأمون، وأُتيحت للشريف الخلافة على الخرمين على عهد القادر(٢٩).

والنقابة موضوعة لصيانة ذوي الأنساب الشريفة عن ولاية من لا يكافؤهم في النسب، ولا يساوبهم في الشرف، ليكون عليهم أحبى، وأمره فيهم امضى، وهي على ضربين: خاصة وعامة، اما الخاصة فهي أن يقتصر بنظره على مجرّد النقابة من غير تجاوز لها إلى حكم وإقامة حد، فلا يكون العلم معتبراً في شروطها، ويلزمه في النقابه على أهله من حقوق النظر إثناعشر حقا، وقد ذكرها الماوردي في الأحكام السلطانيّة.

و اما النقابه العامة، فعمومها أن يُردّ إلى النقيب في النقابة عليهم مع ما قدمناه من حقوق النظر، خمسة أشياء:

١ ـ الحكم بينهم في ما تنازعوا فيه.

٢ ـ الولاية على أيتامهم في ما ملكوه.

٣ ـ إقامة الحدود عليهم في ما ارتكبوه.

٤ ـ تزويج الأيامى اللاتي لا يتعين أولياؤهن أو قد تعينوا فعضلوهن.

٥ ـ إيقاع الحَجر على من عته منهم، أو سفه وفكه إذا أفاق و رشد.

فيصير بهذه الخمسة عامّ النقابة، فيعتبر في صحّة نقابته وعد ولايته أن يكون عالماً من أهل الإجتهاد ليصحّ حكمه، وينفذ قضاؤه(٣٠).

فمن تصدّى لهذه المناصب الخطيرة أعواماً وسنين عديدة مضافاً الى ولاية المظالم

---

(٢٩) الشرح الحديدي ١: ٣٣، ولاحظ الغدير ٤: ٢٥٠.

(٣٠) الأحكام السلطانية ص ٨٢ ـ ٨٦.

والولاية على الحج، والكلّ يتطلب خصوصيات وصفات نفسانية عالية، وسجايا أخلاقية رفيعة جداً، حتى أنه يجب أن يكون ظاهر العفة، قليل الطمع، كثير الورع، لا يعقل أن يقوم بما جاء ذكره في القصّة السابقة التي لا توجد إلاّ في علبة القصاصين وجعبة الوضاعين.

*

كلّ ما مرّ عليك من الأكاذيب والتهم كان يختص إما بالشريف الرضي أو أخيه المرتضى، وكان الهدف من وراء وضع هذه التهم تكبير هذا بتصغير ذاك أو بالعكس، هذا يرشد الى ان كليهما كانا موضع حقد البعض وبغضهم وحسدهم، لا أحدهما خاصة.

و يؤيد ذلك ما اتهما به على وجه الإشتراك ، وأوّل مارميابه ما ذكره ابن خلّكان في تاريخه إذ قال: إختلف الناس في كتاب نهج البلاغة المجموع من كلام علي بن أبي طالب، هل هو جمعه، أو جمع أخيه الرضي، وقد قيل انه ليس من كلام «عليّ» إنما الذي جمعه ونسبه اليه، هو الذي وضعه(٣١).

و تبعه اليافعي -من دون تحقيق- وردّد نفس ما قاله ابن خلكان في تاريخه(٣٢).

فإ تورّط فيه هذان الكاتبان من نسبة الكتاب الى علم الهدى واتهامه بوضعه أو عزو ذلك إلى سيّدنا الشريف الرضي، مما لا يُقام له في سوق الحقائق وزن، وليس له مناخ إلاّ حيث تربض فيه العصبية العمياء وهو يكشف عن جهل أُولئك.

و بما انه قد قام عدة من المحققين بنقد هذه النسبة بوضع تآليف قيمة حول: ما هو نهج البلاغة؟ وذكر مصادره المؤلّفة قبل أن يولد الرضي أو الشريف المرتضى، فنحن نضرب عن ذلك صفحاً ونمرّ عليه كراماً.

و في كتاب مصادر نهج البلاغة للعلامة الخطيب السيد عبدالزهراء الحسني، وما كتبه الأُستاذ عبدالله نعمة، ومأأفرده العلامة الشيخ هادي آل كاشف الغطاء في ذلك المضمار، وطبع مع كتابه مستدرك نهج البلاغة غنى وكفاية في دحض الشبهة، وإبطال الفرية، والله الهادي.

---

(٣١) وفيات الأعيان ٣ : ٣١٣، بيروت، ط دارالثقافة.

(٣٢) لا حظ الروضات ٤: ٣٠٤، ولا حظ الرياض ٤: ٥٥.